

* نظمي الجعبة

القدس بين الاستيطان والحفريات

ليس علم الآثار في إسرائيل علماً محايداً أو مستقلاً، فهو مجند، إلى حد بعيد، في خدمة أيديولوجيا الدولة الاستيطانية. ولا يعني ذلك عدم وجود علماء آثار إسرائيليين محايدين، بل على العكس من ذلك، فإن بعضهم برهن على شجاعة نادرة حين رفض الروايات التوراتية عن التاريخ القديم لهذا البلد. وكان نهب آثار القدس يجري دائماً بذريعة الحفريات، لكن الحفريات اليوم تتركز بشكل مريب، في المنطقة التي يسميها الإسرائيليون "الحوض المقدس"، أي البلدة القديمة ومحيطها، وهي تترافق مع حملة كبيرة للاستيطان وطرده السكان الفلسطينيين من بعض الأحياء. وترصد هذه المقالة الحفريات في داخل المدينة القديمة وخارجها، وتحذر من وجود شبكة من الأنفاق المتصلة والمتقاطعة تحت البلدة القديمة، والتي من شأنها أن تعرّض ما فوقها إلى التشقق والانهار. وهذه المقالة، باختصار، إنذار إلى جميع المعنيين بمدينة القدس ومستقبلها.

مقدمة

لن تعالج هذه المقالة الحفريات الإسرائيلية في القدس منذ سنة ١٩٦٧، فقد جرى التطرق إليها عبر العديد من الدراسات،^(١) وإنما ستركز على ما يدور في أرض الواقع اليوم. فكثير من الحفريات الآن يستند بالتأكيد إلى الأسس الفكرية والمنهجية ذاتها التي طورها "علماء" الآثار التوراتيون منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهو المنهج الذي بنى عليه الإسرائيليون لاحقاً عملهم المكثف في حقل الآثار.^(٢) كما أن هذه المقالة لن تعالج مسألة في غاية الأهمية وتتعلق بالوضع القانوني للحفريات في القدس خاصة، وفي الأراضي المحتلة عامة، لكن يكفي أن نقول إن جميع أنواع الحفر ونقل العاديات من أراض محتلة إلى خارجها يُعتبر مخالفاً للقانون الدولي.^(٣) تصاعدت في الآونة الأخيرة حملات نهب الآثار والأرض وما تحتها باسم "الحفريات الأثرية". وفي

الحقيقة فإن ما يسمى "الاستكشاف الأثري" الذي يدور الآن ما هو إلا جزء لا يتجزأ من حملة سياسية واسعة النطاق تجتاح منطقة القدس ضمن مخطط وُضع مسبقاً، ومن أعلى المستويات، وبشكل علني، إذ يتركز النشاط "الأثري" في المنطقة التي تسمى "الحوض المقدس"، أو "الحوض التاريخي"،^(٤) وهي المنطقة التي تضم البلدة القديمة ومحيطها، بالإضافة إلى السفوح الغربية لجبل الزيتون، وسلوان، ووادي حلوة، وحي البستان، ووادي الربابة، وتمتد إلى الشيخ جراح شمالاً. وقد طالبت إسرائيل مراراً بالسيطرة الكاملة والحصرية على هذه المنطقة ضمن مفاوضات الحل النهائي. وتترافق حملة "الآثار" هذه مع حملة واسعة للاستيطان الصهيوني في القدس، من جهة، ومع عملية الطرد السكاني للفلسطينيين، من جهة ثانية.

(*) محاضر في التاريخ الإسلامي في جامعة بيرزيت.

السعدية.^(٧) وهكذا، ما عادت حارة النصارى بمنأى عن هذه التوجهات، إذ بعد أن أحجمت الحركات الاستيطانية فترة طويلة عن دخولها، كسرت هذا التوجه بنزل سان جون الكائن في سوق أفتموس، وأتبعته بمحاولات السيطرة على منطقة باب الخليل.

أولاً: الآثار والاستيطان

توطدت العلاقة في الآونة الأخيرة ما بين حركات المستوطنين المتطرفين وسلطة الآثار الإسرائيلية بصورة لم يسبق لها مثيل، وبشكل واضح ومعلن، إذ تقوم الحركات الاستيطانية مثل "العاد" و"عطيرت كوهانيم" وإدارة "الحائط الغربي" بتمويل أعمال الحفر، التي تلحقها في العادة أعمال الاستيطان. ومن الأمثلة الصارخة على العلاقة الوطيدة بين الشريكين تخويل سلطة الآثار الإسرائيلية للجمعية الاستيطانية "العاد" إدارة الحديقة الأثرية الواقعة في تلة الضهور، أو ما يسميه الإسرائيليون "مدينة داود"، وملحقاتها في المنطقة المحيطة بها، بما فيها منطقة دار الإمارة الأموية (أرض الخاتونية)، إلى الجنوب والجنوب الغربي من الحرم الشريف.^(٨)

بالإضافة إلى ذلك، نحن بالكاد نجد اليوم أي حفرة في منطقة ما يسمى "الحوض المقدس" من دون أن نكتشف التلاحم ما بين الاستيطان والآثار والعاملين في هذا الحقل من الإسرائيليين، وعلى رأسهم سلطة الآثار الإسرائيلية. فقد صرح كثيرون من المسؤولين في هذه السلطة، خلال السنة الماضية والحالية، بأن جل نشاط سلطة الآثار سينتقل إلى القدس، بلوغاً إلى رقم قياسي في عمليات الحفر التي ستستمر بشكل متواز ومترافق لأعوام عديدة، كما أعلنوا أن هذه الحفريات ستغير وجه المدينة وطابعها، وأن علم الآثار في القدس هو علم مجند في خدمة الدولة وأهدافها السياسية. إن هذه التصريحات لم يسبق لها مثيل، إذ تم الادعاء، ولفترة طويلة، أن علم الآثار في إسرائيل

ويمكن إدراك ما يجري بالتحديد في هذه المنطقة عبر مراقبة حملات هدم المنازل المكثفة في سلوان عامة، وفي حي البستان خاصة، كما تصاعدت وتيرة الاستيطان في وادي حلوة،^(٩) جنباً إلى جنب مع ازدياد عدد الحفريات وحجمها وموقعها في المنطقة نفسها. والأمر ذاته ينطبق على منطقة الشيخ جراح، حيث يجري إخلاء حي كامل، والتخطيط لزرع المستوطنين في الموقع نفسه. وفي البلدة القديمة، وعلى الرغم من صعوبة التمدد الاستيطاني، بسبب الوعي المتزايد لدى السكان، ومأسسة الدفاع القانوني عن العقارات، وتنامي حملات التصدي للمستوطنين، وأعمال ترميم المباني السكنية وتأهيلها لتحسين شروط سكن الفلسطينيين، هذا عدا الحاجة الماسة والمتزايدة إلى المساكن، الأمر الذي أدى إلى رفع قيمة العقارات، وزاد في شدة تمسك السكان الفلسطينيين بأملاتهم، فإن محاولات المستوطنين السيطرة على بعض الأحياء ما زالت تشكل خطراً حقيقياً على أجزاء واسعة من البلدة القديمة. وفي هذا الإطار يمكن فهم محاولات السيطرة الواسعة على العقارات في البلدة القديمة باستخدام جميع الطرق الملتوية، وأخطر هذه المحاولات يدور عند باب الخليل (ميدان عمر بن الخطاب)، ويتمثل في محاولة السيطرة على فندقى الإمبريال والبتراء، وكلاهما من أملاك كنيسة الروم الأورثوذكس،^(١٠) كما أنه من المفيد التذكير باستمرار سيطرة المستوطنين على نزل سان جون (القديس يوحنا) القريب من كنيسة القيامة، الذي تعود ملكيته إلى بطريركية الروم الأورثوذكس أيضاً، والذي تمت السيطرة عليه بطرق ملتوية تشبه بعض الشيء الطرق التي استخدمت في السيطرة على فندقى باب الخليل. علاوة على ذلك، هناك المحاولات المستميتة للسيطرة على المزيد من العقارات في المنطقة المحيطة بالحرم الشريف، وفي الأحياء التالية: عقبة الخالدية؛ عقبة القرمي؛ عقبة التكية؛ طريق باب الحديد؛ طريق الواد؛ طريق باب السلسلة؛ وعلى درجة أقل في كل من باب حطة وحارة

الإسرائيلية وبصرها، ومن دون الحصول على التراخيص الضرورية. فقط بعد بدء الحفر بعدة أشهر، واحتجاج بعض علماء الآثار الإسرائيليين، وإثارة الموضوع في الصحف، وبعد أن "خجلت وأُخرجت" سلطة الآثار الإسرائيلية، تم تقديم طلبات التراخيص، علماً بأن الأرض التي يجري فيها الحفر هي ملكية فلسطينية خالصة قررت بلدية القدس الغربية تحويلها إلى موقف للسيارات، وهذا أعطى جمعية إلعاد "الحق" في الحفر فيها وتحتها، وهو ما يعني أن البلدية متوافقة تماماً مع المخططات الاستيطانية، بل هي مشرعة لها وتقوم بإعداد المخططات التفصيلية لتنفيذها، الأمر الذي يثبت ما ذهبنا إليه أعلاه من ترابط بين أصحاب القرار في إسرائيل على مختلف المستويات، وبين ما يجري في ساحة الاستيطان في القدس وخارجها، ومن أن المجموعات الاستيطانية، والتي تسمى أحياناً "المتطرفين"، ما هي إلا ذراع غير رسمية لأصحاب القرار في إسرائيل، وضمنها ذراع الآثار. وتقوم المؤسسات الحكومية الإسرائيلية الرسمية بتمويل كثير من هذا النشاط الاستيطاني الذي يتسم بعدم توافقه حتى مع القانون الإسرائيلي.^(١٠)

وكما هو معروف، فإن القانون الإسرائيلي، مثله في ذلك مثل باقي القوانين في دول العالم، يمنع البناء في أي موقع من دون أن توافق سلطة الآثار الإسرائيلية على ذلك. ويقوم المبادر إلى البناء بتمويل تكاليف الحفريات إذا اقتضت الضرورة ذلك. ويمنع البناء عادة، على المواقع الحساسة التي يتم إعلانها محمية أثرية بموجب القانون، إلا إن القانون يتوقف كلياً عندما يدور الموضوع حول موقع استيطاني. فعلى سبيل المثال، تقدم مستوطنو "إلعاد" في وادي حلوة بطلب رخصة بناء على "تلة أوفل"، أي بالمفهوم الإسرائيلي فوق "مدينة داود"،^(١١) وعلى الموقع الأثري المحمي منذ فترة الانتداب البريطاني، فسارعت دائرة الآثار الإسرائيلية وقامت بحفريات إنقاذية في الموقع، سمحت للمستوطنين بعدها بالبناء عليه. صحيح أن بلدية القدس لم تصدر ترخيصاً بذلك، لكنها لم تقم

هو علم مستقل. ففي الماضي، كان نقدنا لـ "علم الآثار" يتمحور حول دوره المكشوف والمتمثل في بعده الأيديولوجي كمسوغ سياسي يبرر قيام دولة إسرائيل ويخلق "الشرعية التاريخية" لها، وبالتالي الثقافية والأخلاقية، كما كان لهذا العلم شأن مركزي في المساهمة في تشكيل "الهوية الإسرائيلية"، وذلك جنباً إلى جنب مع الجيش الإسرائيلي، والهستدروت، والكيبوتس. لكن بعد انهيار الهستدروت والكيبوتس، ولنقل بعد تراجع دوريهما بشكل كبير، وتراجع دور الجيش، لكن بدرجة أقل، بسبب التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي طرأت على المجتمع الإسرائيلي، فقد ازداد دور الآثار بشكل لم يسبق له مثيل، وذلك على الرغم من سقوط كثير من المقولات التي سيطرت على علم الآثار الإسرائيلي في مواقع أساسية مثل القدس ومسادا ومناطق أخرى، والتي تشكلت لفترة طويلة عبر ما أنتجه علماء الآثار في إسرائيل من قصص وأساطير شكلت مرتكزات أساسية ثقافية للمجتمع الإسرائيلي، ودخلت ضمن الرواية الرسمية لتاريخ اليهود.

هناك شبه إجماع بين أغلبية الباحثين الجادين في علم الآثار من إسرائيليين وغربيين، على أن "مدينة داود العظيمة" التي كانت عاصمة لإمبراطورية داود الضخمة ما هي في حقيقة الأمر إلا قرية أقل تطوراً من كثير من المدن الواقعة بين بيت لحم ورام الله، وبالتالي، ما عاد الربط بتاريخ اليهود شرطاً لربط الموقع بمسوغات سياسية، بل انتقل إلى دور مكشوف في عملية الاستيطان، وفي تبرير حق اليهود في الاستيطان في أي مكان في عاصمة داود وسليمان، وفي المنطقة التي تم صوغ التاريخ اليهودي فيها.^(٩)

ومن الجدير بالذكر أن سلطة الآثار الإسرائيلية تقوم بتسريع الإجراءات القانونية، بل تتغاضى عنها في كثير من الأحيان، إذا كان الأمر متعلقاً بمنطقة تستهدفها الجمعيات الاستيطانية، كما حدث في وادي حلوة، إذ بدأت حركة "إلعاد" الاستيطانية بالحفر تحت سمع سلطة الآثار

الحفرية على خلفية إزالة التلة المتبقية من حارة المغاربة، والتي تقود من ساحة البراق إلى الحرم الشريف، وهذه الحفرية تهدف إلى إزالة الآثار التي تعوق إدارة حائط المبكى عن توسيعه وتوسيع الساحة التي تقع أمام حائط البراق، وإلى تأمين مدخل أفضل لقوات الأمن الإسرائيلية من ناحية لوجستية للوصول إلى الحرم الشريف بما في ذلك دخول المركبات العسكرية إليه. وقد أثارَت هذه الحفريات حفيفة جهات كثيرة، فلسطينية وعربية وإسلامية، وكذلك حفيفة الجهات المتعددة ذات العلاقة بالتراث الثقافي، واتخذت أبعاداً مهمة جداً، إذ شكّلت لجنة دولية برئاسة اليونسكو للتداول في الأمر. ونتيجة ردات الفعل هذه، توقف العمل في هذه الحفريات بانتظار المصادقة على المخططات الضرورية، ونحن لا نعرف مصير الموقع بعد، لكن الجدل في إسرائيل لم يتوقف، وقد جرى التدخل المكثف في الموضوع من جانب وزراء وأعضاء كنيست وعلماء آثار إسرائيليين، وذهبت المواقف تجاه هذه الحفريات اتجاهات شتى. لكن من المهم القول إنه كان يفترض بسلطة الآثار في إسرائيل، ومن ناحية موضوعية، أن ترفض أي أعمال لتغيير المشهد هناك، وذلك بسبب هشاشة الوضع ليس من ناحية سياسية فحسب، بل من ناحية أثرية أيضاً، إذ إن هذه التلة شاهد تاريخي على طبقات أثرية مرت بالمنطقة، كما أنها مرتبطة عضويًا بواحد من أهم المعالم الحضارية في القدس، أي الحرم الشريف. لكن سلطة الآثار، بدلا من ذلك، سارعت إلى تنفيذ المخطط الاستيطاني وبسرعة خيالية، مسخرة لذلك إمكانات هائلة. وهناك عدة مخططات مطروحة للنقاش من أجل معالجة نتائج هذه الحفرية، وضمنها بناء جسر معدني أو زجاجي أو أسمنتي، في حين يصير الجانب الفلسطيني والأردني على إعادة التلة إلى سابق عهدها، وعدم إزالة ما تبقى منها.

٢ - حفريات ساحة حائط البراق: إن الحفريات في الطرف الغربي لساحة البراق مستمرة، وهي تثير الخوف من توسيع هذه الساحة فوق الأرض

بهدم المبنى حتى الآن، على الرغم من مرور أربعة أعوام على بنائه، ومن احتجاج مجموعة من علماء الآثار الإسرائيليين، وكذلك احتجاج مؤسسات حقوقية.

لقد أصبحت الحركات الاستيطانية ممولاً أساسياً لسلطة الآثار الإسرائيلية، وهناك من يعتقد أن المبالغ التي يدفعها المستوطنون إلى سلطة الآثار تتجاوز العشرة ملايين شيكل سنوياً، الأمر الذي يعطي هذه الحركات قوة في تقرير كثير من سياسات سلطة الآثار، هذا عدا وجود مجموعة من علماء الآثار الإسرائيليين الذي ينتمون أصلاً إلى الحركة الاستيطانية من ناحية أيديولوجية. فعلى سبيل المثال، تمول جمعية "عطيرت كوهانيم" الحفريات شمالي البلدة القديمة، وكذلك تحت كنيست "أوهل يتسحاق"^(١٣) بينما تمول جمعية "العاد" الحفريات في حي سلوان، بالإضافة إلى موقعين آخرين، كما يقوم ما يسمى "صندوق تراث الحائط الغربي" بتمويل الحفريات في ثلاثة مواقع أخرى قريبة من "حائط البراق"، منها ما هو في القسم الغربي للساحة، ومنها ما هو في تلة باب المغاربة. وقبل عرض مختلف الحفريات الجارية، من المهم أيضاً الإشارة إلى العلاقة الوطيدة بين حركات المستوطنين وبلدية القدس الإسرائيلية، إذ قامت هذه الحركات بتمويل مجموعة من المخططات التفصيلية التي تركز على منطقة سلوان، وبالتالي، يجري إعداد مخططات هيكلية بتمويل من المستوطنين، وذلك كي تخدم المخططات الاستيطانية في سلوان، والأمر ذاته يتم في الشيخ جراح. إن ما ذكر أعلاه يؤكد أيضاً قدرة الحركات الاستيطانية ومستوى نفوذها في محافل أخذ القرار في إسرائيل، وخصوصاً تلك المحافل التي لها علاقة بالأرض وما عليها.^(١٣)

ثانياً: الحفريات

أ - الحفريات داخل البلدة القديمة^(١٤)

١ - حفرية تلة باب المغاربة: جرت هذه



حائط البراق، تلة باب المغاربة والحفريات التي تمت فيها

التراث العالمي للمواقع التاريخية، أن يتم منع جميع أشكال البناء فيها، وهذا هو المطبق على السكان الفلسطينيين.^(١٥)

٣ - حفريات النفق الغربي: وهو النفق الذي يقع على امتداد الجدار الغربي للحرم الشريف. إن الحفريات هنا مستمرة بلا توقف، وهي تتجه غالباً في اتجاه الغرب، لكننا في حقيقة الأمر لا نعرف كثيراً عن مساراتها، إذ لا يعلن إلا تلك التي تتجه غرباً، مبتعدة عن الحرم الشريف، أما الحفريات التي تتجه شرقاً، في اتجاه الحرم، فلا ندعي أننا نعرف عنها شيئاً، وأخطر ما فيها أننا لا نعرف. ويمكن الاستدلال أحياناً على مساراتها عبر متابعة الأصوات المنبعثة من تحت الأرض، لكن من دون التأكد من الصورة الشاملة. والمعطيات المتعددة

وتحتها، وذلك على حساب باقي البلدة القديمة. وكشفت هذه الحفريات عن نتائج كانت متوقعة مسبقاً، وهي الطريق الرومانية من باب العمود في اتجاه طريق الواد (كاردو ديكامانوس)، والواضحة المعالم في خريطة مأدبا التي تعود إلى نهاية القرن السادس الميلادي. ولقد تم الكشف عن قطعة طويلة من هذه الطريق، كما اكتشفت فوقها مبان بيزنطية وأموية وصليبية وأيوبية ومملوكية، وكذلك جزء من مباني حارة المغاربة المدمرة. ويعود سبب القيام بهذه الحفريات إلى طلب تقدمت به إدارة حائط المبكى من أجل إنشاء قاعة متعددة الأغراض ومراكز خدمات إضافية. ولا ندري ما هو مصير المكتشفات المهمة في هذا الموقع، لكن من المفترض، كون البلدة القديمة تقع على لائحة

والاستعمالات، وتم وصل هذا كله بالنفق الغربي الممتد على الجدار الغربي للحرم الشريف، أي تم ربط الموقع بساحة البراق، بحيث تشكل وحدة متكاملة. ولا يدعي المستوطنون ملكية المبنى فحسب، بل أيضاً ملكية كل ما يمكن أن يتم اكتشافه تحت الأرض. وعلى الرغم من أن المباني الواقعة فوق الأرض هي أملاك خاصة ووقف إسلامي، إلا إن المستوطنين، وبدعم من سلطة الآثار الإسرائيلية وطبعاً بلدية القدس، يتصرفون كمالك حصري. ومن الجدير بالذكر أن الحفريات في هذه المنطقة أدت إلى تصدع كثير من البيوت الواقعة فوق الأنفاق التي يتم حفرها، وهي بيوت أهلة بكثافة، ومع ذلك فإن الحفريات لم تنته بعد، ولا نعرف بالضبط إلى أي اتجاه ستتجه، وما قد تنتج من المشاريع الاستيطانية الإضافية في هذه المنطقة الحساسة والتي تقع في قلب الصراع.

٥ - حفريات بيت هتسلاَم (بيت شارون): تقع

هذه البوارة الاستيطانية في المنطقة الشمالية من طريق الواد، إلى الشمال من النزل النمساوي. ونحن لا نعرف شيئاً عن الحفريات الدائرة فيها، لكن من المعتقد أنها تتم في اتجاهين، الأول إلى الشمال في اتجاه المغارة (مغارة سليمان/ مغارة الكتان) الواقعة قريباً من باب العمود، خارج الأسوار، وذلك لربط الموقعين أحدهما بالآخر، أما الاتجاه الثاني فنحو الجنوب، حيث سيتم ربط الموقع بكنيس أوهل يتسحاق المذكور، وبالتالي بالنفق الغربي وساحة البراق. ويتضح من خلال هذا المشروع العمل الدؤوب لربط البور الاستيطانية من تحت الأرض، والسيطرة على مزيد من المساحات داخل البلدة القديمة.

٦ - حفرية أرض الصبرة: تقع هذه

الأرض/ الخربة في الجزء الجنوبي لسوق الخواجات، والذي تهدم، على أغلب الظن، في القرن التاسع عشر نتيجة زلزال، ولم تتم إعادة بنائه. وقد استولى المستوطنون على الأرض، وهم يقومون الآن بإجراء الحفر فيها تمهيداً للبناء عليها توسيعاً للمستعمرات القائمة في عقبة السرايا. وباستخدام

التي ترد إلى المهتمين من سكان البنايات التي تقع أعلى الأنفاق، تشير إلى اتجاه هذه الأنفاق في اتجاهات متنوعة تحت البلدة القديمة، ونحن لا نستطيع إعطاء المزيد من المعلومات عنها، لأننا نفتقر إلى الوقائع الواضحة، لكن يمكن أن نشير إلى أنه تم ربط أسفل كنيس أوهل يتسحاق (الوارد أدناه) بنفق يقود من الغرب إلى الشرق ليلتقي بنفق الجدار الغربي.

٤ - حفريات كنيس أوهل يتسحاق: يبعد هذا

الكنيس عن المسجد الأقصى نحو خمسين متراً غرباً، ويقع إلى الجنوب من حمام العين الواقع على طريق الواد. وقد جرى في العام الماضي بناء هذا الكنيس بارتفاع طبقتين فوق عقار جرت مصادرتة في سبعينيات القرن الماضي، وتم الانتهاء من بناء الكنيس وتدشينه في سنة ٢٠٠٨. أما فيما يتعلق بأسفل الكنيس الذي يسمى "أوهل يتسحاق"، فإن أعمال الحفر بدأت تحت مستوى المبنى، ووصلت الآن إلى مستوى يزيد على عشرة أمتار، وهي لما تنته بعد، بينما جرى الحفر في المنطقة التي تقع خلف الكنيس المذكور (حوش الزربا) إلى أعماق تزيد على ١٢ متراً، بحيث ربطت هذه المنطقة بالنفق الغربي الذي يمتد على طول الجدار الغربي للحرم الشريف. إن النيات المعلنة بشأن هذه الحفريات تقول إنها ربما تصل إلى ٢٠ متراً تقريباً، وهدفها إنشاء متحف لطبقات القدس الأثرية. وقد أدت هذه الحفريات إلى تشقق كثير من المباني في المنطقة، وإلى انهيار الطريق المؤدية إلى حوش الزربا، علماً بأن المباني أهلة بكثافة. ويذكر أن نتائج الحفريات التي وصلت إلى الطبقة الصخرية تمخضت عن اكتشاف طبقات أثرية تبدأ من الفترة الرومانية وتنتهي بالفترة العثمانية، كما تم اكتشاف قاعة ضخمة (٢٧,٨ م × ١٠,٣ م) كانت، على أغلب الظن، جزءاً من خان تنكز (مملوكي)، الذي يقع إلى الشمال من هذا الموقع. وبالتالي جاءت نتائج الحفريات بدفعة إضافية لمشروع التنقيب الأثري هنا، إذ اكتسب المستوطنون موقعاً إضافياً، عبارة عن قاعة واسعة متعددة الإمكانات



الحفريات تحت الجدار الجنوبي للمسجد الأقصى

بطلب ترخيص بناء ٣٦ وحدة سكنية بالإضافة إلى كنيس تعلوه قبة ذهبية، فحضرت سلطة الآثار الإسرائيلية إلى الموقع لحفره قبل السماح للمستوطنين بالبناء. ولم تعترض سلطة الآثار على مبدأ البناء في الموقع الذي يقع مباشرة تحت السور التاريخي، وفي منطقة حيوية جداً تشكل متنفساً للحي المكتظ جداً بالسكان، وإنما قامت بحفره، ذلك بأن نتائج الحفريات دلت على استخدام مكثف للموقع في الفترتين الرومانية والمملوكية، وبالتالي، لا يمكن ربط الموقع بأي شيء له علاقة بالتاريخ اليهودي، الأمر الذي أدى إلى موافقة هذه السلطة على السماح بالبناء على الموقع. ولم يتم تنفيذ المشروع بعد لإشكالات متعددة لها علاقة بملكية الأرض وباحتجاج بعض علماء الآثار

أسطح الدكاكين (سوق العطارين واللحامين والخواجهات) يتم ربط هذه المستعمرة بحارة اليهود. وتقوم سلطة الآثار الإسرائيلية بإجراء الحفريات تمهيداً لتسليمها إلى المستوطنين من عطيرت كوهانيم.

٧ - حفريات برج اللقلق: هذه المنطقة عبارة عن أرض واسعة تقع في الزاوية الشمالية الشرقية للبلدة القديمة، وتقوم على جزء من هذه الأرض جمعية برج اللقلق المجتمعية التي تقدم خدمات ثقافية ورياضية وصحية لأحد أفقر أحياء البلدة القديمة. وليس بعيداً من هذه الأرض توجد بؤرة استيطانية. وتتعرض هذه الأرض منذ أعوام للضغط الاستيطاني الذي يواجهه بمقاومة سكان الحي من الفلسطينيين. وقد تقدمت الجمعيات الاستيطانية

الإسرائيليين على الفكرة، وقد وُضع الموضوع على الرف لفترة معينة، ولا أُستغرب إعادة فتحه مجدداً خلال الفترة المقبلة، وخلال فترة الحكومة الحالية الداعمة للاستيطان بشكل كبير. مرة أخرى يتضح من هذا المثال أن الاستيطان وسلطة الآثار والبلدية تجتمع كلها على جدول الأعمال نفسه.

٨ - أنفاق حارة الشرف/اليهود: لقد أُعلنت

مخططات لشق المزيد من الأنفاق التي تربط هذه المنطقة بساحة البراق، لكننا لا نعرف تفاصيل هذه الأعمال بعد.

ب - الحفريات خارج الأسوار بالقرب من البلدة القديمة (ما يسمى الحوض المقدس)

١ - حفرية ما يسمى موقف سيارات غفعاتي:

تقع هذه الأرض على بعد خمسين متراً من السور الجنوبي للقدس، بالقرب من الحرم الشريف، وتبلغ مساحتها ١٠ دونمات تقريباً. والحفريات تجري في الموقع منذ أكثر من عامين، وقد كشفت حتى الآن عن قبور إسلامية (أكثر من ١٠٠ جثة)^(١٦) ومبانٍ أموية ضخمة،^(١٧) ومن المعتقد أن هذه المنطقة كانت جزءاً من المجمع الإداري (دار الإمارة) الأموي، والذي بُني في نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الميلادي. كما تم اكتشاف حارة عباسية في الموقع، الأمر الذي يضيف على الموقع درجة عالية من الأهمية العلمية،^(١٨) إذ إن الفترة العباسية غير ممثلة بشكل جيد في المدينة. ولم يتم الكشف عن أبعاد هذه الحفريات بعد، لكن من خلال ما يستشف من معلومات، فإنه سيبنى في الموقع قاعة ضخمة للمستوطنين ومركز تسوق ومواقف للسيارات، كما من الممكن ربط الموقع عبر نفق بساحة البراق من الشمال، في حين يمكن ربطه بعين سلوان من الجنوب. وتقوم جمعية "العاد" الاستيطانية بتمويل الحفريات منذ سنة ٢٠٠٧، وهذه الحفريات تكلف الملايين من الدولارات نظراً إلى وصولها إلى أعماق كبيرة. ويذكر أن مركز معلومات "مدينة داود"، والذي تديره الحركة الاستيطانية نفسها، يقع في الجهة المقابلة

للحفرية، وهو ما يؤكد ترابط هذه الحفرية بالمشروع الاستيطاني في سلوان.

٢ - حفريات أرض صيام: تقع هذه الأرض على

بعد ١٥٠ متراً تقريباً إلى الجنوب من السور الجنوبي للقدس في وادي حلوة، في منطقة تنشط فيها حركة الاستيطان، ويتم فيها الحفر في اتجاه الشمال عبر نفق روماني كان يُستخدم لإسالة مياه الأمطار الزائدة من البلدة القديمة في اتجاه الجنوب (وادي حلوة، ومن ثم إلى وادي النار). وقد تم حفر بضع عشرات من الأمتار في اتجاه الشمال حتى الآن، لكن الحفريات لم تنته بعد. ومن الجدير بالذكر، أن الحفريات تمت من دون إذن سلطة الآثار، وحين أثار بعض الصحافيين الإسرائيليين هذا الموضوع قامت سلطة الآثار بإصدار

التراخيص الضرورية، من دون وقف الحفرية، ولا تقديم حركة "العاد" إلى المحكمة كما جرت العادة مع الفلسطينيين. أما مسار الحفرية فيقع تحت بيوت سكان المنطقة، وكذلك تحت الشارع العام. لقد اعتبرت "العاد" نفسها مالكة لما تحت الأرض، وهي تتصرف كأنها حكومة، فلا شيء يتم بالسر، ذلك بأن الحكومة والبلدية وسلطة الآثار هي أذرع للكائن نفسه. لقد خسر سكان المنطقة القضية التي رفعوها ضد هذه الحفرية التي تجري تحت بيوتهم، ومن دون إذنتهم، الأمر الذي يؤكد أيضاً ترابط الجهاز القضائي في إسرائيل مع هذا المشروع.^(١٩)

٣ - حفريات عين سلوان: يجري الحفر في عين

سلوان في ثلاثة مواقع: شمالي العين، وجنوبي العين، وعند بركة سلوان. والعمل مستمر بتمويل من الجمعيات الاستيطانية بهدف ربط عين سلوان بنفق يمتد شمالاً في اتجاه الحفرية السابقة (أرض صيام)، وفي اتجاه الحرم الشريف. ويمكن فهم النشاطات الأثرية في هذه المنطقة ضمن خطة استيطانية من جهة، وضمن مشروع إنشاء مدينة أثرية يهودية من جهة ثانية يتم عبرها إعادة تركيب تاريخ القدس بناء على الرواية الاستيطانية التي تُعتبر أكثر تطرفاً وأحادية الجانب مقارنة حتى بالرواية الرسمية. لقد أدت الحفريات في هذه

معلومات كافية عن الحفريات من أجل التوصل إلى نتائج علمية في شأن المكتشفات.^(٢٠)

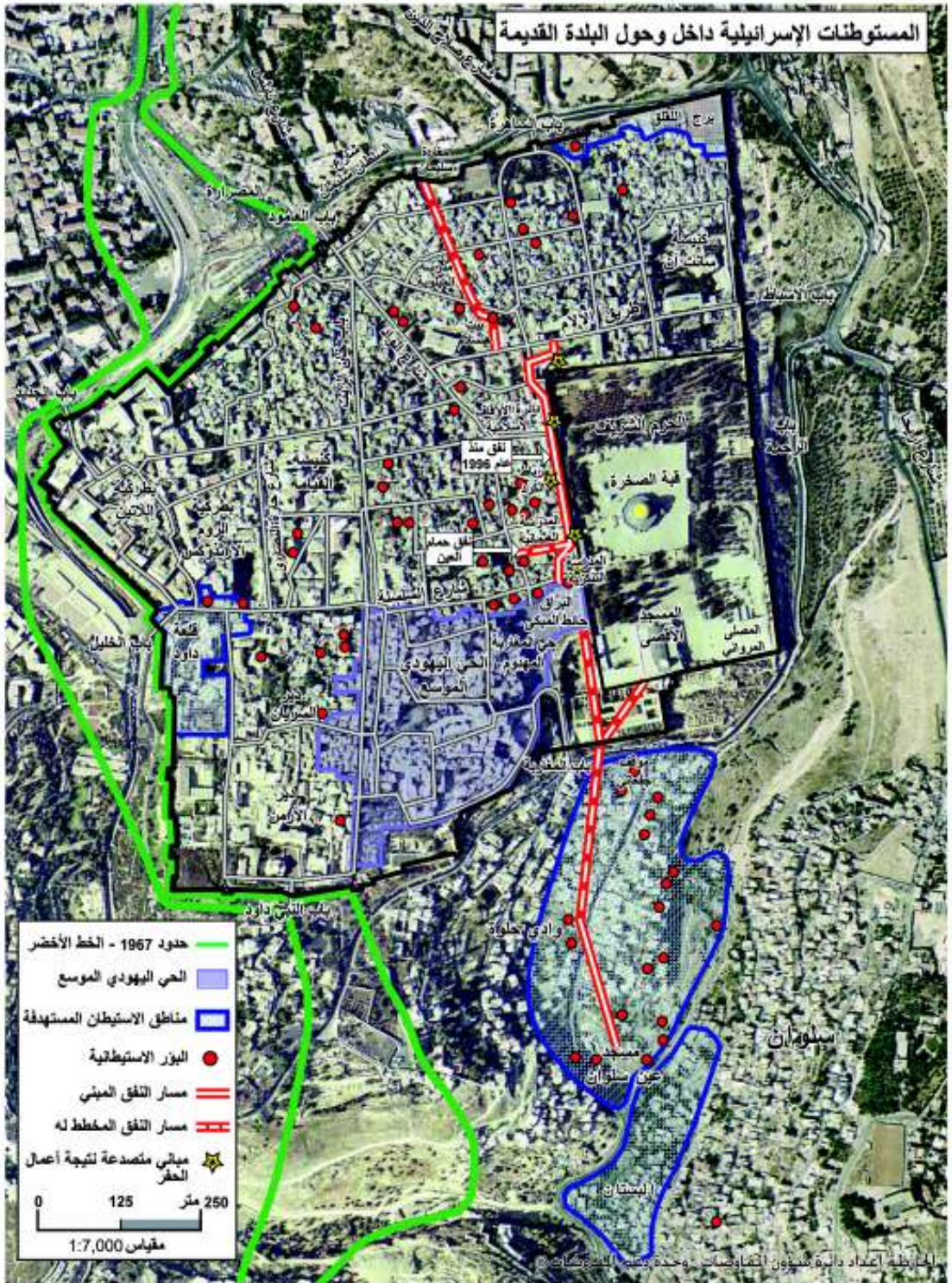
المنطقة إلى انهيارات في الطريق العام، وإلى تشققات في بعض المنازل، ولا تتوافر هنا



حفريات عين سلوان، وهي بداية النفق الذي يمتد من أسفل الجامع الذي يظهر في الصورة في اتجاه الشمال، أي في اتجاه الحرم الشريف، وقد تم حفر عشرات الأمتار حتى الآن، وتسببت الحفريات بعدة انهيارات وتشققات في المنازل المحيطة بتلك المنطقة

بالصوت والصورة لتاريخ التلة وعلاقتها باليهود، كما أن المستوطنين يقومون بتسيير مرشدين سياحيين في الموقع يقدمون الصورة ضمن منهج واضح. ويتمركز آخر الحفريات حول العين (عين أم الدرج) حيث يتم الكشف عن أبراج دفاعية تعود إلى العصر البرونزي الوسيط (الفترة الكنعانية).

٤ - حفريات تلة الضهور (مدينة داود): ما زالت أعمال الحفر مستمرة في هذا الموقع، ولا جديد في ذلك، لكن أعمال التأهيل تتم على يد المستوطنين الذين أنشأوا على طرف الموقع مبنى دعائياً يركب تاريخ القدس بشكل انتقائي ومثير للجدل حتى بين علماء الآثار الإسرائيليين. فالموقع يتضمن عرضاً





تلة الضهور | مدينة داود، وعلاقتها بمختلف أحياء سلوان

ثالثاً: حرب الأنفاق

ظاهرة الأنفاق ليست جديدة في مدينة مثل القدس تحتوي على كثير من الطبقات الأثرية، ومن المباني المتراكم بعضها فوق بعض، كما أن طوبوغرافيا المدينة أدت دوراً مهماً في تشكيل الأنفاق. وهناك أنواع متعددة من الأنفاق:

١ - منها ما جاء نتيجة بناء جسر بين منطقتين مرتفعتين بينهما واد، وقد تراكمت فيه الأتربة على مر العصور ونُسي أمره إلى أن اكتُشف في إحدى الحفريات التي تمت منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

٢ - النوع الثاني من الأنفاق جاء نتيجة التمديدات الصحية لإزالة مياه الأمطار أو المياه المبتذلة، أو حتى لجر وتوزيع المياه العذبة، إذ

رُبطت المدينة على مر العصور بشبكات من هذه التمديدات التي نُسي أمرها بعد التمديدات الحديثة، وقد جرى إعادة اكتشافها قديماً أو حديثاً.

٣ - ثمة أنفاق جاءت نتيجة رفع مستوى

المباني، وخصوصاً في المنطقة المحيطة بالحرم الشريف، ويمكن اعتبار النفق الذي فُتح على امتداد الجدار الغربي للحرم الشريف ضمن هذه المجموعة.

٤ - هناك أنفاق يجري حفرها من جديد ولم يكن لها أصل تاريخي، مثل مخطط ربط حارة اليهود بساحة البراق، أو مخطط ربط مغارة سليمان ببيت شارون.

وأشهر الأنفاق التي تم حفرها في القدس، هي:

أ - النفق الغربي: يقع النفق على امتداد الحائط

الغربي للحرم الشريف، وهو يبدأ بأسفل المدرسة

التنكزية المجاورة لما هو مكشوف من الجدار الغربي للحرم من الجهة الجنوبية، ويستمر حتى الزاوية الشمالية الغربية للحرم عند باب الغوانمة، ويتجاوزها في اتجاه الشمال. ويبلغ طول النفق (من عند الزاوية الشمالية لحائط المبكى) ٣٣٠ متراً على طول الجدار الغربي، ويمتد بعدها نحو ٣٥ متراً إلى شمال الحرم الشريف، ثم ينحرف إلى الشرق ١٦ متراً تقريباً، ليفتح على طريق الآلام تحت المدرسة العمرية. وسمي النفق إسرائيلياً نفق الحشمونيين^(٢١) وذلك لوجود قناة ماء في الجزء الشمالي من النفق بطول ٣٥ متراً تقريباً، تبدأ أسفل مدرسة راهبات صهيون حيث بركة تجميع للمياه يعتقد أنها بُنيت خلال الفترة المذكورة. أما بقية أجزاء النفق فعبارة عن أساسات المباني المملوكية المبنية فوقها، بالإضافة إلى أجزاء تعود إلى الفترة الصليبية أو الأيوبية، وخصوصاً في بداية النفق الجنوبية. ولم يجر اكتشاف شيء يعود إلى فترات أخرى إلا بلاطتين تعودان إلى فترة الملك هيرودوس، ولا نعرف إن كانتا جزءاً من طريق مبلطة، أو أنه أُعيد استخدامهما في الموقع خلال فترات لاحقة. ومن الجدير بالذكر، أن أجزاء من النفق معروفة منذ القرن التاسع عشر. ويشكل هذا النفق أساسات الأبنية المملوكية التي تقع على امتداد الجدار الغربي للحرم، إذ قرر المماليك رفع مستوى الأبنية المتصلة بالحرم من الجهة الغربية إلى مستوى ساحات الحرم. وبما أن المنطقة الغربية للحرم تنحدر غرباً لتشكّل وادياً عميقاً (تسمى المنطقة حتى اليوم طريق الواد)، كان لا بد من رفع المباني على دعائمات وتساويات شكّلت سلسلة من الغرف والممرات التحت أرضية، بعضها مملوء بالتراب والبقايا المعمارية على مر العصور، وبعضها الآخر جرى استعماله آباراً لتجميع مياه الأمطار للأبنية الواقعة أعلاه. وبعد سنة ١٩٦٧، بدأت أعمال الحفر (ولا سيما في المنطقة الشمالية من النفق حيث جرى حفر الصخر لتشكيل مخرج شمالي للنفق) والتنظيف، ليجري افتتاحه على يد بنيامين نتنياهو في ١٩٩٦/٩/٢٣، مطلقاً بذلك ما اصطلح

على تسميته انتفاضة النفق. كما أنه من المفيد معرفة أن أجزاء من النفق لا يبلغ عرضها أكثر من ٦٠ سم، وهو ما يعني أن الزائر يجب أن يسير في اتجاه واحد (حالياً من الجنوب إلى الشمال)، وبالتالي، فإنه في حال إغلاق المخرج الشمالي (تحت المدرسة العمرية)، فهذا يعني أن النفق سيثقل من ناحية سياحية.

كما يجب التنكير بأن النفق يتفرع تحت الأرض إلى عدة أنفاق ثانوية لا نعرفها جميعها بسبب عدم فتحها أمام الزوار، وبعضها يتجه صوب الحرم الشريف (أي في اتجاه الشرق)، وبالتالي، فإن الحديث عن "النفق" لا يكفي، إذ يتعين علينا أن نأخذ تلك التفرعات بعين الاعتبار.^(٢٢)

لقد أدت بداية الحفريات في النفق في مطلع السبعينيات إلى تشققات وانهارات في عدد كبير من المباني المملوكية الواقعة أعلاه، علماً بأن بداية الحفريات تمت على يد المستوطنين، كما أن إدارة الحائط الغربي هي من دون إشراف أثري أو هندسي. وهذه المسألة لم تنته حتى الآن في كثير من المواقع في البلدة القديمة.

ب - نفق عين سلوان: يقع هذا النفق تحت الجزء المسمى "مدينة داود" في سلوان، وقد اكتشفته عالمة الآثار إيلات مازار، وهي صهيونية متعصبة جداً، وكتاباتهما تفتقر، حتى بين علماء الآثار الإسرائيليين إلى الصدقية العلمية، كما أنها هي التي قامت بإثارة اللغط بشأن حفريات المصلى المرواني، وأنشأت جمعية للدفاع عن "جبل الهيكل". وأعلنت هذه عالمة اكتشاف النفق في سنة ٢٠٠٨، وأعادت تاريخه إلى القرن العاشر قبل الميلاد، أي إلى فترة الملك داود، مع أن أحداً لا يستطيع الجزم بدقة التاريخ، حتى إن الباحثة نفسها قدمت اكتشافها هذا بشكل حذر. لقد جرى حتى الآن الكشف عن نحو ٥٠ متراً، والعمل جارٍ في النفق من عين سلوان في اتجاه البلدة القديمة،^(٢٣) فالنفق سيستعمل لربط "مدينة داود"، بمشاريع مياه سلوان، وبحائط البراق، وسيساهم في توسيع نفوذ المستوطنين، كما سيؤدي إلى بلورة رواية صهيونية

متكاملة عن تاريخ القدس.

ج - نفق وادي حلوة: يقع النفق على طول طريق وادي حلوة، وهو يربط بين سلوان والبلدة القديمة، ويطلق عليه اسم "مطلع داود"، وقد انتشرت المستعمرات على امتداد هذه الطريق، وذلك بعد السيطرة على ١٥ مبنى تقريباً. ويهدف المشروع الاستيطاني هنا إلى تفريغ وادي حلوة كله من السكان، وإلى ربط عين سلوان بطريق تقود من باب المغاربة في سور القدس عند جدار الجامع الأقصى الجنوبي إلى عين سلوان ومنطقة البستان، وهذه الطريق مركز حركة مرور مكتفة لسيارات ومشاة. وقد بدأ الحفر في النفق في سنة ٢٠٠٤ تحت خيمة محروسة بشكل سري، ونحن لا نعرف إلى أي مدى تم الحفر، لكن مرور خمسة أعوام على الحفر، ومشاهدة كمية كبيرة من الشاحنات التي تنقل التراب المستخرج من النفق، يدلان على المدى الذي جرى قطعه. وعلى أغلب الظن، فإن هذا النفق كان مجرى للمياه المبتذلة من البلدة القديمة في اتجاه وادي حلوة، ومن ثم إلى وادي النار. أما أخطر ما في الأنفاق فهو عدم معرفتنا المخططات، لأن العمل فيها يظل في قيد الكتمان،

فضلاً عن عدم السماح لأصحاب العقارات، أو محاميهم، أو حتى للصحافيين، بالاقتراب منها، ليس حرصاً على سلامة الجمهور كما هي الحال في الحفريات الخطرة، وإنما حفاظاً على سرية المشروع. لقد ارتبطت الأنفاق في البلدة القديمة ومحيطها بالحركات الاستيطانية، الأمر الذي يدل على ارتباطها بمشاريع الاستيطان.^(٢٤)

إن المعلومات المذكورة أعلاه توضح مدى الهجمة الاستيطانية التي تتركز في البلدة القديمة والمنطقة المحيطة بها، وذلك في محاولة لحسم الوضع على الأرض ومن طرف واحد. وتأخذ الحملة المظاهر التالية:

- ١ - استخدام الحفريات الأثرية ذريعة للتدخل والسيطرة، فبعد الآثار يأتي الاستيطان.
- ٢ - تكتيف عمليات الاستيطان في كل من رأس العمود، وسلوان، ووادي حلوة، والشيخ جراح، وطبعاً البلدة القديمة.
- ٣ - طرد الفلسطينيين من سلوان، وحي البستان، والشيخ جراح.
- ٤ - هدم المنازل في المناطق المستهدفة استيطانياً. ■

المصادر

(١) بشأن ذلك أنظر:

Nadia Abu El-Haj, *Facts on the Ground: Archaeological Practice and Territorial Self-Fashioning in Israeli Society* (Chicago: University of Chicago, 2001); Rafael Greenberg, "Archaeology in Jerusalem 1967-2008: Towards an Exclusive Archaeology in Jerusalem, The Case of Silwan/the City of David", *Public Archaeology*, vol. 8, no. 1, pp. 35-50.

كما يمكن مراجعة المقالات المتنوعة بشأن تاريخ القدس في: هندريكوس ياكوبس فرانكن وآخرون، "القدس في التاريخ"، ترجمة وتحرير كامل العسلي (الأردن، عمان: الجامعة الأردنية، عمادة البحث العلمي، ١٩٩٢).

(٢) لا يقصد هنا التعميم، فبالتأكيد ظهر كثير من علماء الآثار التوراتيين وكذلك الإسرائيليين الذين تحلوا بروح ومنهج نقديين، وإنما الحديث هو عن المدرسة التي تمثل المؤسسة الرسمية، وهي في حقيقة الأمر تمثل الأغلبية العظمى من العاملين في إسرائيل في حقل الدراسات التاريخية عامة، والأثرية خاصة.

- (٣) تعتبر القدس بشرقها وغربها أرضاً محتلة بموجب القانون الدولي، إذ إن القرار الدولي الوحيد الذي ينطبق على المكانة القانونية للقدس هو قرار التقسيم سنة ١٩٤٧، والذي تحتل فيه القدس مكانة خاصة بإدارة دولية. ويذكر أن القرارات الدولية اللاحقة لم تغير هذه المكانة، كما لم تغيرها الاتفاقات الفلسطينية - الإسرائيلية منذ سنة ١٩٩٣، والذي يؤكد ذلك هو إدراج القدس (وليس الشرقية فقط) في قائمة موضوعات الحل النهائي، وذلك في اتفاق أوسلو.
- (٤) اصطلاح أطلقه الإسرائيليون رسمياً في مفاوضات الحل النهائي في كامب ديفيد سنة ٢٠٠٠، أما في المفاوضات التحضيرية وغير الرسمية فقد ظهر هذا الاصطلاح منذ أواسط تسعينيات القرن الماضي، ويقصد به المنطقة الجغرافية المذكورة أعلاه، وقد يتسع مداها أو يضيق تبعاً للتطورات. وعلى الرغم من الموافقة الإسرائيلية المبدئية على معايير الرئيس الأميركي الأسبق كلينتون، والتي تقضي بتقسيم القدس تبعاً للسكان، بحيث تصبح الأحياء الفلسطينية تابعة للسلطة الفلسطينية، والأحياء الإسرائيلية تابعة لإسرائيل، إلا إن المفاوضات الإسرائيلي أصر على خصوصية هذه المنطقة.
- (٥) استطاع المستوطنون السيطرة على أكثر من خمسة عشر عقاراً في وادي حلوة، كما قامت بلدية القدس وسلطة الآثار الإسرائيلية بالسيطرة على أغلبية المساحات المفتوحة، وقد قدرت مساحة الحيازات هذه بأكثر من ثلث مساحة وادي حلوة. ويذكر أن الاستيطان في وادي حلوة هو مجرد حلقة في سلسلة من المخطط الاستيطاني القاضي بعزل معظم أجزاء البلدة القديمة عن التواصل السكاني مع الفلسطينيين الذين يعيشون في محيط البلدة القديمة، ويتم ذلك مرة باسم الحزام الأخضر الذي سيغلف البلدة القديمة، ومرة أخرى باسم الآثار وإنشاء المحميات الثقافية.
- (٦) سيطرت إسرائيل على قلعة القدس الواقعة في الميدان نفسه في سنة ١٩٦٧، وذلك بحجة أنها أملاك دولة، وقامت بإجراء الحفريات فيها، لكن حين لم تنطق هذه الحفريات بتاريخ يهودي ذي مغزى أو أهمية، حولت المباني القائمة، وأغلبيتها تعود إلى الفترات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، إلى متحف لتاريخ القدس، يسرد تاريخاً متحيزاً، ويعبر عن الرؤية والرواية الرسمية الإسرائيلية لتاريخ المدينة. وليس بعيداً عن القلعة، فإن الشرطة الإسرائيلية صادرت مبنى القشلة (القشلاق)، وبالذريعة نفسها. ويذكر أن مبنى القشلة شيده إبراهيم باشا ابن محمد علي الكبير في أثناء السيطرة المصرية على القدس (١٨٣١ - ١٨٤٠)، وهو يُستخدم الآن مقراً للشرطة الإسرائيلية وسجنًا، وفيه مركز مراقبة البلدة القديمة عبر الكاميرات المنتشرة في كل بقعة من البلدة القديمة. وإذا استكمل المشروع الاستيطاني في هذه المنطقة الحيوية، فإن مساحة ضخمة من البلدة القديمة (منطقة باب الخليل) ستتحول إلى بوابة إسرائيلية يهودية للقدس، وهي بوابة مركزية جداً، وقد حاولت إسرائيل مراراً في جميع المفاوضات الرسمية وغير الرسمية ضمان السيطرة الإسرائيلية على باب الخليل وصولاً إلى حارة اليهود عبر حارة الأرمن.
- (٧) تجاوز عدد النقاط الاستيطانية ٨٥ نقطة في البلدة القديمة، خارج ما يسمى حارة اليهود، ويدور كثير من المشاريع الاستيطانية أكان فوق الأرض أم تحتها، حول ربط هذه النقاط بعضها ببعض، وكذلك ربطها مجتمع حارة اليهود وساحة حائط البراق. وهنا يتضح الدور المركزي الذي تقوم به سلطة الآثار الإسرائيلية لتنفيذ هذا المخطط، عن طريق استخدام حجج دراسة تاريخ القدس والكشف عن آثار المدينة وتشجيع السياحة.
- (٨) تقدم هذه الحركة رواية صهيونية متطرفة لتاريخ الموقع، وتقوم بعمليات غسل أدمغة للزوار، الأمر الذي حدا بعض علماء الآثار الإسرائيليين على الاحتجاج، بما في ذلك تقديم رواية بديلة عن طريق تنظيم رحلات للموقع، لمزيد من التفاصيل انظر: <http://www.alt-arch.org/tours.php>
- (٩) ليست عملية الربط بين الاستيطان والآثار جديدة على الممارسات الإسرائيلية، فهذا الأمر ينطبق على المستعمرات المبكرة التي أنشئت في بداية القرن العشرين، إلا إنه ينطبق أكثر على كثير من المستعمرات الإسرائيلية التي أنشئت بعد سنة ١٩٦٧ مثل "إفراة"، "شيلو"، "تكواع"، "بيتار"، إلخ، وهذه كلها مواقع أثرية جرى ربطها بشكل اعتباطي أحياناً بالتاريخ اليهودي، وقد تم إحياء الاسم، أو حتى تعديله، ليؤدي هذا الدور ويعطي المستعمرة عمقاً تاريخياً.

- (١٠) في المقابل تتشدد سلطة الآثار الإسرائيلية مع أعمال الترميم التي تنفذها المؤسسات الفلسطينية في البلدة القديمة، بحيث إن إزالة تراب، حتى لو كان ردماً وعلى عمق ١٠ سنتمترات، تتطلب كثيراً من الإجراءات القانونية، وهو ما يجعل العمل شبه مستحيل ويحوّله إلى جحيم. ويمكن الإشارة ضمن هذا الإطار إلى عدة مشاريع جرى وقفها وتقديم القائمين عليها إلى المحاكم بسبب عدم حصولهم على إذن مسبق لتغيير حتى البلاط.
- (١١) يقع هذا الموقع إلى الجنوب الشرقي من مدرسة سلوان للبنات التابعة لوكالة الغوث (الأونروا)، والتي سقطت فيها أرضية إحدى غرف الصفوف. ففي هذه المنطقة بالتحديد لا يمكن، بترخيص أو من دونه، إضافة متر مربع واحد، ولا حتى باستعمال مواد بناء غير ثابتة.
- (١٢) تم الانتهاء أخيراً من بناء هذا الكنيس، وقد جرى الحفر إلى عمق أكثر من ١٠ أمتار دون مستوى الأرض. وتنوي سلطة الآثار، وبالتعاون مع الجمعيات الاستيطانية، تحويل الموقع إلى متحف للطبقات التاريخية في القدس، وذلك لإعطاء بعد تاريخي لكنيس انتهى من بنائه سنة ٢٠٠٩، وهذه لعبة معروفة، إذ إن الكنيس بني على الطراز المعماري المعروف بالطراز العثماني البيزنطي.
- (١٣) من هذه المؤسسات التي يركز المستوطنون عليها: وزارة الدفاع (وخصوصاً الإدارة المدنية)؛ وزارة الإسكان؛ وزارة الداخلية؛ دائرة أراضي إسرائيل؛ دائرة أملاك الغائبين؛ بلدية القدس؛ سلطة الآثار؛ إلخ.
- (١٤) تشمل القائمة هنا الحفريات الجارية الآن (سنة ٢٠٠٩)، ولا تشمل تلك التي أجريت في الماضي وأثرت في شكل المدينة القديمة وفي حياة العقارات.
- (١٥) لنتذكر الزوبعة التي أثرت ضد الأوقاف الإسلامية عندما رمت إسطبلات سليمان تحت الساحة الشرقية للمسجد الأقصى، وحوّلتها إلى "المسجد المرواني". لقد فرضت سلطة الآثار الإسرائيلية والحكومة والشرطة عقوبات على الأوقاف الإسلامية ما زالت سارية حتى الآن.
- (١٦) لم يتم إعلان هذا الاكتشاف حتى تسرب الأمر إلى الصحافة، فادعت سلطة الآثار الإسرائيلية عندها أنها سلمت عظام الموتى إلى دائرة الأديان الإسرائيلية التي ادعت بدورها أنها قامت بدفن العظام. ولم يتم إعلام أي جهة إسلامية بذلك كي تقوم بواجب الصلاة على الموتى مثلما يقتضي الشرع الإسلامي، كما أن أحداً لا يعرف في أي مقبرة وضعت هذه العظام، هذا إن كان ذلك صحيحاً. ومن الجدير بالذكر أن هذه الجثث تعود إلى مسلمين من العصر الأموي.
- (١٧) في الحقيقة كشفت الحفريات عن كثير من المكونات الأخرى التي تعود إلى الفترتين الرومانية والبيزنطية.
- (١٨) هناك ادعاء لكثير من علماء التاريخ والآثار أن القدس عانت جراء الإهمال في الفترة العباسية، ولذلك، فإن هذا الاكتشاف يعتبر مدخلاً لإعادة دراسة هذه الفترة، لكننا لا نتوقع أن يتم نشر كثير من المعلومات عنه، كما حدث مع دار الإمارة الأموية.
- (١٩) بالنسبة إلى تأثير الحفريات في المساكن، وسلامة حياة السكان الفلسطينيين، واستغلال الحفريات أداة لطرد السكان، أنظر: Adina Hoffman, Archaeological Digs Stoke Conflict in Jerusalem, *The Nation* (18/8/2008).
- إن سلطة الآثار الإسرائيلية تقدم عادة، معلومات عن الحفريات التي تقوم بها في المناطق كلها، وذلك في موقعها الإلكتروني، أما إذا تعلق الأمر بحفريات في موقع استيطاني في القدس القديمة أو خارجها، فإن الباحث لا يجد أي معلومة عن ذلك. أنظر موقع السلطة الإلكتروني: <http://www.antiquities.org.il>
- (٢٠) لا تقدم سلطة الآثار أي تفسيرات عما يجري في هذا الموقع.
- (٢١) سلالة يهودية حكمت باسم السلوقيين منذ سنة ١٣٥ ق.م. وقد انتهت سيطرتهم نحو سنة ٦٣ ق.م. بالغزو الروماني.
- (٢٢) للاطلاع على وجهة النظر الإسرائيلية في شأن النفق، أنظر الموقع الإلكتروني: <http://www.aish.com/seminars/tunneltours/overview.asp>
- (٢٣) ربطت الباحثة هذا النفق بنفق آخر ذكر في العهد القديم (صمويل الثاني ٥: ٨)، فالنص يشير إلى أن الملك

داود استخدم هذا النفق عند اقتحامه القدس اليبوسية (يبوس). وبالتأكيد، هذا ربط أيديولوجي وسابق لأوانه، وخصوصاً أن أغلبية الروايات التوراتية المتعلقة بالقدس، ولا سيما في فترتي داود وسليمان، أصبحت بلا قيمة علمية عند علماء الآثار الجديين.

Joseph Krauss, "Secret Jerusalem Tunnel May Spark Conflict", *Arab News*, (20/3/2008); Grace (٢٤) Halsell, "Eradicating Muslims and Christians from Jerusalem", *Washington Report on Middle East Affairs*; <http://www.mfa.gov.il/MFA/History>, under the title: "First Temple Era Tunnel Unearthed in the City of David"; "Ancient Tunnel Discovered in Jerusalem", Online Edition, *Jerusalem Post*, 9/9/2007, with the *Associated Press*.

المراجع

بالعربية

- فرانكن، هندريكوس ياكوبس وآخرون. "القدس في التاريخ". ترجمة وتحرير كامل العسلي. الأردن، عمان: الجامعة الأردنية، عمادة البحث العلمي، ١٩٩٢.

بالأجنبية

- Abu El-Haj, Nadia. *Facts on the Ground: Archaeological Practice and Territorial Self-Fashioning in Israeli Society*. Chicago: University of Chicago, 2001.
- "Ancient Tunnel Discovered in Jerusalem". Online Edition, *Jerusalem Post*, 9/9/2007, with the *Associated Press*.
- Bronner, Yigal. "Archaeologists for Hire: A Jewish Settler Organization is Using Archaeology to Further its Political Agenda and Oust Palestinians from Their Homes". *The Guardian*, 1/5/2008.
- Greenberg, Rafael. "Archaeology in Jerusalem 1967-2008: Towards an Exclusive Archaeology in Jerusalem, The Case of Silwan/the City of David". *Public Archaeology*, vol. 8, no. 1, pp. 35-50.
- Halsell, Grace. "Eradicating Muslims and Christians from Jerusalem". *Washington Report on Middle East Affairs*; <http://www.mfa.gov.il/MFA/History>, under the title: "First Temple Era Tunnel Unearthed in the City of David".
- Hoffman, Adina. "Archaeological Digs Stoke Conflict in Jerusalem". *The Nation*, 18/8/2008.
- Ilan, David. "Archaeological View: Archaeology Adding Powder Keg". *Biblical Archaeology Review*, vol. 34, no. 6, November/December 2008.
- Krauss, Joseph. "Secret Jerusalem Tunnel May Spark Conflict". *Arab News*, 20/3/2008.
- Rapoport, Meron. "City of David Tunnel Excavation Proceeds without Proper Permit". *Haaretz*, 5/2/2007.
- ———. "Islamic-Era Skeletons from Elad Sponsored Dig". *Haaretz*, 1/6/2008.
- Rubinstein, Danny. "The City of David: Below and Above the Ground". *Haaretz*, 12/10/2007.